خطبة

في التحذر من فتنتي القتل والقتال

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وليّ الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فقد أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – عن الفتن في آخر الزمان، وحذّر – عمومًا – من التعرّض لها، وأمر أمته بالابتعاد عنها، ففي الابتعاد عن الفتن سلامةٌ لكلّ من أحبّ لنفسه السلامة.

والفتن التي أخبر عنها النبي – صلى الله عليه وسلم – كثيرةٌ وعظيمةٌ ومتنوعةٌ، وربّ إنسان يسلم من فتنة، ويقع في فتنة أخرى – نسأل الله السلامة والعافية – والموفّق من وفّقه الله في اجتناب هذه الفتن كلِّها.

وفي مقامنا هذا سنتحدّث عن فتنة الدماء، من فتنتي القتل والقتال، وإنهما – والله – لفتنتان عظيمتان.

أما فتنة القتل فإن من يقتل غيره بغير حقّ – ولو واحدًا – فهو متوعّدٌ من الله تعالى بالعذاب العظيم، فكيف إذا كان قاتلًا متسلسلًا مستمرًّا في سفك الدماء، يقتل الواحد تلو الآخر.

يقول تعالى: "ومن يقتل مؤمنًا متعمّدًا فجزاؤه جهنّم خالدًا فيها، وغضب الله عليه، ولعنه، وأعدّ له عذابًا عظيمًا". ويقول تعالى: "ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحقّ". ويقول تعالى: "وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنًا إلا خطأً". ويقول تعالى في وصف عباد الله الصالحين: "والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر، ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحقّ ولا يزنون، ومن يفعل ذلك يلق أثامًا * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانًا".

وجاءت نصوصٌ كثيرةٌ في السنة النبوية تحذّر من القتل، فمن ذلك قوله – صلى الله عليه وسلم –: "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار"، فقيل: "يا رسول لله هذا القاتل فما بال المقتول ؟" قال: "إنه كان حريصًا على قتل صاحبه". رواه الشيخان عن أبي بكرة. وقال – صلى الله عليه وسلم –: "لا يحلّ دمُ امرئٍ مسلمٍ

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

إلا بإحدى ثلاث، النفس بالنفس، والثيّب الزاني، والتارك لدينه، المفارق للجماعة". رواه الشيخان عن ابن مسعود. وقال – صلى الله عليه وسلم –: "لا يزال المؤمن في فسحةٍ من دينه ما لم يُصبْ دمًا حرامًا". رواه البخاري عن ابن عمر.

ألا وإنّ من فتن القتل التي انتشرت – في الآونة الأخيرة – قتل أئمةِ المساجد، وقتل خطبائها، وقتل الكوادر الأمنية، والعسكرية، وغيرها من الشخصيات المتميّزة في المجتمع، فإننا نبرأ إلى الله من سفك هذه الدماء، وسفك غيرها من الدماء.

وأما فتنة القتال بغير حقّ، فقد حذّر النبيّ – صلى الله عليه وسلم – منها ومن الدخول فيها.

أوصى النبيّ – صلى الله عليه وسلم – المسلمين في حجّة الوداع بأمرٍ عظيم فقال: "لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض". أخرجه الشيخان.

اجتمع في حجّة الوداع أكبر جمعٍ في عهد النبيّ – صلى الله عليه وسلم – فأوصاهم بالحذر من قتال بعضهم بعضًا.

وفي رواية: "صحيح البخاري" يقول ابن عباس – رضي الله عنهما –: "فوالذي نفسي بيده إنها لوصيّته إلى أمته – فليبلّغ الشاهد الغائب – "لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض".

روى الشيخان عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "ستكون فتنٌ، القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، من تشرّف لها تستشرفه، فمن وجد فيها ملجأ أو معاذًا فليعُذ به".

أي: أن البعيد منها أفضل من القريب، وأن من تعرّض لها تقمعه وتفتنه، لأن الفتن إنما تصيب من تعرض لها.

لقد أخبر عنها النبي – صلى الله عليه وسلم –، وذكر أنها ستكثر في آخر الزمان، ألا وإن من ينظر إلى كثيرٍ من المجتمعات الإسلاميّة في الآونة الأخيرة، يرى أن القتل والقتال قد كثُر بصورة عجيبة، اختلطت فيه الأوراق على كثيرٍ من الناس، حتى صار الحليمُ حيرانَ، فتنٌ لو سألت القاتل: "لماذا قتلت؟". لم يكن عنده جواب، وهذا كلّه

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

مصداق لقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يومٌ لا يدري القاتل فيم قتل؟ ولا المقتول فيم قُتل؟". رواه مسلم في "صحيحه" عن أبي هريرة.

ألا وإن من أراد الوقاية من الفتن، فعليه بأن يأخذ بالنصائح النبوية التي أرشد النبي – صلى الله عليه وسلم – إليها عند الفتن، وهي كما يلي:

أولًا: ــ عليه بالابتعاد عن الفتن، فقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم: "يوشك أن يكون خيرُ مال المسلم غنمًا يتتبع بها شعف الجبال، يفر بدينه من الفتن". رواه البخاري عن أبي سعيد. وقال النبيّ – صلى الله عليه وسلم –: "إن السعيد لمن جُنّب الفتن". رواه أبو داود عن المقداد بن الأسود، وسنده صحيح.

وثانيًا: ــ اعتزال القتال إذا كان من أجل المُلك، أو الرايات العصبية، أو من أجل الدنيا، أو مكايدة بعض الناس لغيرهم.

وجاء في "صحيح البخاري" عن أبي بكرة أنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "إنها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خيرٌ من الماشي فيها، والماشي فيها خيرٌ من الساعي إليها، ألا فإذا نزلَت – أو وقعَت – فمن كان له إبلٌ فليلحق بإبله، ومن كانت له غنمٌ فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرضٌ فليلحق بأرضه". قال: "فقال رجل: "يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل، ولا غنم، ولا أرض ؟". قال: "يعمد إلى سيفه فيدقُّ على حدّه بحجر، ثم لينجُ إن استطاع النجاء، اللهم هل بلغت ؟! اللهم هل بلغت ؟! اللهم هل بلغت ؟!". قال: فقال رجل يا رسولَ الله أرأيت إن أُكرهت حتى يُنطلق بي إلى أحد الصفين، أو إحدى الفئتين فضربني رجل بسيفه، أو يجيء سهمٌ فيقتلني". قال: "يبوءُ بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار".

قال شيخ الإسلام في "الاستقامة": "فقد أمر – صلى الله عليه وسلم – بالهجرة إلى حيث لا يُقاتِل، وبإفساد السلاح الذي يُقاتل به في الفتنة" ا.هـــ كلامه.

وهكذا سار الصحابة، فاعتزلوا الفتن، ولم يخوضوا فيها، فقد روى البخاري في "صحيحه" عن عبد الله بن عمر أن رجلًا قال له: "يا أبا عبد الرحمن حدثنا عن القتال في الفتنة، والله يقول: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة". فقال: "هل تدري ما الفتنة

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ثكلتك أمّك ؟" إنما كان محمد – صلى الله عليه وسلم – يقاتل المشركين، وكان الدخول في دينهم فتنة، وليس كقتالهم على الملك".

وروى البخاري في "صحيحه" عن عكرمة بن خالد عن ابن عمر قال: "خطب معاوية قال: "من كان يريد أن يتكلّم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنَه، فلنحن أحق به منه ومن أبيه". قال حبيب بن مسلمة: "فهلّا أجبته ؟" قال عبد الله: "فحللت حَبوتي، وهممت أن أقول: "أحق بهذا الأمر منك، من قاتلك وأباك على الإسلام". فخشيت أن أقول كلمةً تفرّق بين الجمع، وتسفك الدم، ويُحمل عنّي غير ذلك، فذكرت ما أعدّ الله في الجنان". قال حبيب: "حفظت وعصمت".

وروى الشيخان عن أسامة بن زيد – رضي الله عنهما – أنهم تبعوا رجلًا من المشركين، فقال المشرك: "لا إله إلا الله"، فطعنه أسامة برمح حتى قتله، فلما قدموا بلغ النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: "يا أسامة، أقتلته بعدما قال: "لا إله إلا الله ؟! قال أسامة إنه كان متعوذًا"، فما زال النبيّ – صلى الله عليه وسلم – يكرّرها، حتى قال أسامة: "تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم".

زاد مسلم في "صحيحه": "فقال سعد: "وأنا والله لا أقتل مسلمًا حتى يقتله أسامة".[1]

قال: "قال رجل ألم يقل الله تعالى: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله" فقال سعد: "قد قاتلنا حتى لا تكون فتنة". وأنت وأصحابك تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة".

وروى مسلم في "صحيحه" عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص قال: كان سعد بن أبي وقاص في إبله، فجاءه ابنه عمر فلما رآه سعد قال: "أعوذ بالله من شرّ هذا الراكب" فنزل فقال له: "أنزلت في إبلك، وغنمك، وتركت الناس يتنازعون الملكَ بينهم؟" فضرب سعدٌ في صدره فقال: "اسكت سمعت رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "إن الله يحبّ العبدَ التقيَّ الغنيَّ الخفيَّ".

---

[1] ذلك لأن أسامة قد أخذ هذا الدرس من النبيّ – صلى الله عليه وسلم –، حتى إنه لم يدخل قتال الفتنة.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وروى الشيخان عن الأحنف بن قيس قال: "خرجت – وأنا أريد هذا الرجل – فلقيني أبو بكرة، فقال: "أين تريد يا أحنف ؟ قال: "قلت: "أريد نصر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم – يعني عليًّا – قال: "فقال لي: "يا أحنف ارجع فإني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار". "قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟" قال: "إنه قد أراد قتل صاحبه".

وثالثًا: ــ أن تؤدي الحق التي عليك، وتسأل الله الحق الذي لك، حتى لا تسفك الدماء، وقد قال – صلى الله عليه وسلم –: "إنه ستكون بعدي أثرةٌ وأمور تنكرونها" قالوا: "فما تأمرنا يا رسول الله؟" قال: "أدّوا الحق الذي عليكم، وسلوا الله الذي لكم". متفق عليه عن ابن مسعود. وروى الشيخان عن أنس قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض".

والأثرة: هي تفضيل الحاكم لقرابته بالأموال، فقوله – صلى الله عليه وسلم –: "ستكون بعدي أثرة" هذا يتعلق بالفساد في أمور الدنيا، وقوله: "وأمورًا تنكرونها" يتعلّق بالفساد من جهة الدين. فأمر بالصبر على الحالين.

والأنصار في المدينة النبوية هم أهل الأرض، ومن المدينة انطلقت رايةُ الإسلام، ومع هذا يخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – الأنصار بأنهم سيجدون من بعض الأمراء أثرة، وتخصيص للقرابات بالأموال، فأمرهم بالصبر على ما سيجدونه حتى يلقونه على الحوض.

فاحذر يا مسلم من سفك دماءٍ معصومة، لا يحل لك سفكها، والزم جماعة المسلمين، وأدّي الحقّ الذي عليك، واسألِ اللهَ أن يسهّل لك بحقوقك، فابدأ أولًا من إصلاح نفسك، وألزمها بما أوجب الله عليك، ثم توجّه إلى الله وسله الحق الذي لك.

نسأل الله أن يحفظ علينا ديننا ويتوفانا مسلمين.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، وبعد:

قال الإمام البخاري في "صحيحه" كتاب الفتن:

(وقال ابن عيينة عن خلف بن حوشب: "كانوا يَستحبّون أن يتمثّلوا بهذه الأبيات عند الفتن قال امرؤ القيس:

الحرب أول ما تكون فتية *** تسعى بزينتها لكل جهول

حتى إذا اشتعلت وشبّ ضرامها *** ولّت عجوزًا غير ذات حليل

شمطاء ينكر لونها وتغيرت *** مكروهة للشم والتقبيل

وقول خلف بن حوشب: "كانوا يستحبون أن يتمثلوا بهذه الأبيات عند الفتن":

أي: كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم، ينشدون هذه الأبيات وقت الفتن، ليذكّروا بخطورة الفتن وما تجرّ إليه من ويلات، ومقصدهم التحذير منها.

وهذه أبيات من الشعر تبيّن أن الحرب تكون في بدايتها كالفتاة الشابّة الجميلة، تسعى بين الناس بزينتها فيغترّ بها الجاهل، حتى إذا أُضرمت النار في الحطب واشتعلت الحرب، ظهرت هذه الفتاة على حقيقتها، وصارت كالشمطاء – وهي العجوز [1] – قد تغيّر لونها بعد الحسن بالقبح، وهي مكروهة للتقبيل والمعانقة. وحينئذٍ يعرفها الجاهل المغرور، أما العاقل الفطن فلم يغترّ بها أصلًا.

فهذه حقائق الحروب، فمع شجاعة العرب – في الجاهلية – ومع فروسيتهم وخبرتهم في الحروب، ومعرفتهم بالكرّ والفرّ، إلا أنهم كانوا يهابون هذه الحروب، ويعلمون خطورتها، ويعلمون أنها تهلك الحرث والنسل، وأنها تثير الخلاف بين كبرائها، وأنها تفرق القبيلة، وتضعف قوّتها، وتنقص رجالها، وتحوج القبيلة إلى أموال غيرها من القبائل، بل إن بعض القبائل اندثرت، أو زالت مكانتها بين الناس، بسبب دخولها في الحروب.

---

[1] مأخوذة من الشمط، وهو اختلاط الشعر الأبيض بالشعر الأسود.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

لذلك ذمّوا الحروب في أشعارهم، ووصفوها بأوصاف قبيحة، تدلّ على مدى معرفتهم بحقيقتها.

فالجاهليون – مع كُفرهم – كانوا يكرهون الحرب لما فيها من الأضرار، والمسلم أحق من غيره بأن يخاف من الفتن، ولاسيما والنبي – صلى الله عليه وسلم – يحذّر منها.

فعلى المسلمين أن يحذّروا من خطورة هذه الفتن، إلا إذا وقت القتال المشروع، الذي يدافع فيه المسلم عن دينه، وعن عرضه، فحينئذٍ يتقدّم المسلم مجاهدًا في سبيل الله تعالى، وكلّ شيء يبذله المسلمون فهو في سبيل الله تعالى، وليبشروا بالنصر والتأييد، وليبشروا بالعزّ والتمكين في الدنيا والآخرة.

ألا وإن موقف الدعوة السلفية من سفك الدماء لهو أشرف المواقف على الإطلاق، ولا تقدر جهة أن تصل إلى مرتبتهم ومنزلتهم، فما من فتنة إلا ويتصدّى لها السلفيون بالكشف والتحذير والبيان، والرد على المضلّلين والملبسين، وقد مرّت بنا فتن لا تحصى ولا تحصر، ومع ذلك فقد تولّى السلفيون بيانها على أحسن وجه – ولله الحمد – وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

نسأل الله العظيم أن يحفظنا وإياكم من الفتن. ونسأل الله أن يحفظ علينا ديننا ويتوفانا مسلمين.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم

وأقم الصلاة.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)